مجلة اتّحاد الجامعات العربيّة للآداب المجلد 20 العدد 1، 2023، ص ص 207- 240

حجاجيّة الحوار عند أبي حيّان التّوحيديّ
(الليلة السّادسة من كتاب الإمتاع والمؤانسة نموذجًا تطبيقيًّا)

ريجان عبده عبيدات*

https://doi.org/10.51405/20.1.7

تاريخ الاستلام 2022/6/12 تاريخ القبول 2022/7/28

ملخّص

تُعدّ الدراسات الحجاجية من أهم الدراسات التي تبحث في علاقة الخطاب بالمتلقّي من الناحية التأثيرية الإقناعية. وبرزت الحاجة إلى البحث في آليات الخطاب الحجاجية لمعرفة مقصدية الخطاب كرسالة تتضمن أبعاداً إقناعية وتأثيرية؛ فالنظرة الحجاجية للخطاب تتجاوز الغاية الجمالية إلى العنصر التأثيري عبر الغاية التواصلية للخطاب، ويكرّس أيضا الجماليات البلاغية والفنية لصياغة التأثير والإقناع وإبرازه في الخطاب. ويعد الحجاج من أهم وسائل المتكلم في نقل تصوراته إلى المتلقي معتمدا جملة من الآليات التي تسهم في تحقيق مقاصده.

ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن آليات حجاجية الخطاب عند التوحيدي في كتاب الإمتاع والمؤانسة من خلال دراسة تطبيقية لعينة واحدة هي الليلة السادسة، التي تعالج موضوع المفاضلة بين العرب والفرس، معتمدين في ذلك على التصورات اللسانية المعاصرة لمفهوم الحجاج ولآلياته المتنوعة، فالبحث يقوم على الدراسة النصية التطبيقية التي تحاول الكشف عن مكامن البراعة في محاججة الآخر الفارسي بلغة مستندة إلى الحجة والبرهان في تقديم وجهة نظر التوحيدي المدافعة عن العرب.

وعرض البحث آليّات التوحيدي في تبرير حجاجه في العينة المدروسة والطرق التي اتّبعها في تكوين صورة حجاجية تقدّم على الدليل والبرهان. واتّخذت الدراسة من المنهج الوصفي التحليلي مساراً منهجيّاً للبحث التطبيقي على الليلة السادسة من الإمتاع والمؤانسة من خلال البحث في الآليات الحجاجية التي اعتمدها التوحيدي في الدفاع عن العرب. وقد برزت تلك الآليات في أساليب عدة من سؤال وجواب، ومناقشة للقضايا المطروحة معتمداً أسلوب الاستدراج من أجل الوصول إلى النتائج. إضافة إلى أسلوب القياس وعرض الأدلة. وظهرت أهمية الآليات الحجاجية في تنويع أسلوب طرح القضايا للنقاش بآليات متعددة أسهمت في توفير بيئة تواصلية للخطاب بحيث لم يكن محصوراً في جانب واحد، وإنما كان تفاعليا؛ ما أعطى النتائج التي توصل إليها التوحيدي قيمة تأثيرية وإقناعية أكبر.

© جميع الحقوق محفوظة لجمعيّة كلّيّات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتّحاد الجامعات العربيّة 2023.

* مدرّسة في جامعة اليرموك، مركز اللغات، إربد، الأردن.

وبرزت أيضاً قيمة حجاجية فاعلة للآليات اللغوية التي قام عليها الخطاب في العينة المدروسة، بالإضافة إلى استثمار الآليات البيانيّة والفنية في صياغة الخطاب التأثيري في تكوين الخطاب الحجاجي.

إن الدراسة التطبيقية للحجاج في الإمتاع والمؤانسة الليلة السادسة نموذجاً يعطي صورة متكاملة عن الإسهام الذي قدّمته الدراسات الحجاجية في دراسة آليات التأثير والإقناع في الخطاب التراثي في الأدب العربي.

وقد خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج لعل أبرزها ظهور البناء الحجاجي في النص المدروس في شكلين: الأوّل: بدا فيها التوحيدي راويًا وناقلا، فقد استنطق التراث ونقل ما سمع بأسلوبه وطريقته. والثاني: بدا فيه التوحيدي محاورًا ومحاجِجًا يدفع أقوال الخصم من خلال الأدوات والأساليب الحجاجيّة المختلفة.

الكلمات المفتاحيّة: الحِجاج، الحِوار، التّوحيديّ. الليلة السادسة، الإمتاع والمؤانسة.

مصطلحات البحث:

الحِجاج Argumentation لغة واصطلاحًا:

جاء في لسان العرب: "الحُجّة ما دُفِع به الخصم، ورجل مِحجاج أي جدل، والتّحاجّ: التخاصم، وجمع الحُجّة: حُجج وحِجاج، وحاجّهُ محاجّة وحجاجًا: نازعه الحُجة ... والحجّة: الدليل والبرهان"[1]. وذهب ابن فارس (ت:395هـ) إلى أنّه: "يُقال: حاججت فلانًا فحججته أي غلبته بالحُجة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة، والجمع حُجج"[2].

فالحِجاج في اللغة دال على المخاصمة والمنازعة والمغالبة قصد الظفر، مقرونًا بالأدلّة والبراهين لإثبات الرأي.

ولا يبتعد مفهوم الحجاج، اصطلاحًا، في الدراسات اللسانية المعاصرة عن ذاك الفهم، فهو بذل الجهد لغاية الإقناع، عبر مجموعة من تقنيات الخطاب التي تقصد استمالة المتلقين والتأثير فيهم بهدف الوصول إلى إقناعهم. وعلى هذا يكون مجال الحجاج: المحتمل، والممكن، والتقريبي، والخلافي ... ويقوم على التفاعل والاختلاف في الرأي، ويحضر في كل أنماط الخطاب التي تنزع منزعًا تأثيريًا لا يقين فيه ولا إلزام[3].

وهذا التعريف لا يتعلق بالشكل اللغوي، أو بمحتوى الخطاب، ولكن بوظيفته الكلية، ومن ثَمَّ فالنص الحجاجي يمكن أن يكون حاضراً في جميع أشكال الخطاب، أي في النثر والشعر.

فالحجاج ذو بعد جوهري في اللغة ذاتها، وينتج عن ذلك أنه حيث وجد خطاب العقل، واللغة، فإن ثمة إستراتيجية معينة نعمد إليها لغوياً وعقلياً، إما لإقناع أنفسنا، وإما لإقناع غيرنا، وهذه الإستراتيجية هي الحجاج ذاته، وهي تستمد قيمتها من الحقل الذي تتحقق فيه، وقد يكون

هذا الحقل هو الحياة اليومية للناس وقيمهم، أو يكون هو الفكر والتفكير من أبسط درجاته إلى أكثرها تعقيداً وتجريداً[4].

فالحجة طريقة لتبادل الرأي مع الآخرين، وهي بعيدة كل البعد عن الإقناع الإجباري، والنص الذي نحن بصدد تحليله في هذا البحث قد يكون قولاً حجاجياً ذا أبعاد تأثيرية، ناهيك عن الجوانب الفنية الأدبية، وحينما تجتمع أساليب الحجاج والإمتاع يزداد التأثير والإقناع[5]، بل ربما هذا يكون أكثر تأثيراً وفاعلية في المتلقي، وتتحقق الفاعلية حينما يتمكن المتكلم/ الكاتب من تغيير قناعات المتلقي، فالنص يحقق غاياته الإقناعية حينما يختار الحجج المناسبة التي تلقى صدى لدى المتلقي، سواء أكانت في قالب منطقي، أو جمالي فني، ما دامت في النهاية تهدف إلى إحداث التأثير بواسطة الأفعال الكلامية، وفي ضوء هذه المحددات سندرس الليلة السادسة من ليالي الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، الذي يقدم لنا صورة عن أنماط الحجاج ووسائله من خلال نص واحد اعتمد وسائل حجاجية متنوعة في الدفاع عن العرب ورد تهم الفرس.

الحوار Dialogue

الحوار، لغة، من الجذر (حور)، يُقال: حاوره حوارًا ومحاورة: جاوبه، والمحاورة هي المجاوبة، ومراجعة الكلام والمنطق في المخاطبة[6]. أما في الاصطلاح فالحوار حديث يقوم بين طرفين ينتقل الحديث والخطاب بينهما، من دون أن يكون بينهما ما يدل بالضرورة على وجوب الخصومة[7].

والحوار مقوّم مُهمّ في الأسلوب التعبيري، ويُفترض فيه التعبير والإبانة عن الموقف والكشف عن خفايا النفس[8].

والحوار وسيلة من وسائل حجاجية المناظرة مع الآخر، من هنا يعد من الوسائل الحجاجية المنطقية، فالمدّعي يتوجّه إلى غيره مطلعاً إيّاه على ما يعتقد ويعرف، ويطالبه مشاركته اعتقاداته ومعارفه، ويتّبعُ سبلاً استدلاليّة متنوّعة، تجرّ الآخَر إلى الاقتناع برأي محاوره[9]. وبناء على ذلك فالمحاورة تحمل معنى التفاعل بين طرفي الحوار يطرح أحدهما رأياً أو سؤالاً، فيرد عليه الطرف الثاني ويحاوره ويناقشه، وهنا يلتقي الحجاج بمعنى التحاور أو الحوار، فالمحاجج حين يطرح حجته ينتظر من الطرف الآخر أن يحاوره ويسأله ويجيبه ويناقشه[10].

أسئلة البحث:

يهدف البحث إلى الإجابة عن تساؤلين رئيسيين من خلال التحليل النصي لليلة السادسة، هما: كيف برز الحجاج عند التوحيدي في هذه العينة المدروسة؟ وما آلياته وطرقه؟

العينة المدروسة:

صاحب العينة المدروسة هو أبو حيّان علي بن محمد بن العبّاس التوحيديّ المعروف بأبي حيّان التوحيديّ (ت: 414هـ)، كان يمارس الوراقة ويجتمع برجال العلم ولا سيّما أستاذه أبي سليمان المنطقي[11]، ثمّ أُلحق بخدمة الوزير ابن سعدان (ت375هـ)[12]، وكان الوزير ممَّن يفخر بالعلماء والأدباء من حوله، ترك مؤلفات كثيرة منها: أخلاق الوزيرين، والإشارات الإلهية، الإمتاع والمؤانسة، والمقابسات[13]. وقد كان كاتباً يميل إلى طريقة الفلاسفة والمناطقة ولهذا جاء أسلوب كتاباته متأثراً بذلك[14]. ويعود أثر ذلك إلى البيئة التي عاش فيها، فهي بيئة عقلية تغلب عليها التيارات الفكرية والجدل والحوار والبحث والمنطق، وهذا ما جعله يميل إلى طريقتهم في التعبير وكان يؤثر طريق الفلسفة والعقل[15]. ومن هنا قيل إن كتبه كانت صورة للحياة العقلية التي سادت في عصره، فهي في معظمها عبارة عن "أسئلة وأجوبة وروايات ومساجلات ومحاضرات ومحاضر جلسات وتقريع وتقريظ، ونقد ولمز ووعظ وإرشاد، وكل صفحة منها تدل على علو كعبه في العلم والفهم"[16].

أما العينة المدروسة في هذا البحث فهي الليلة السادسة من ليالي كتاب الإمتاع والمؤانسة للتوحيدي، إذ إن أبا حيان التوحيدي قد قسّم كتابه إلى ليال، "فكان يدون في كل ليلة ما دار فيها بينه وبين الوزير ابن سعدان (المتوفى سنة 375ه)، على طريقة قال لي وسألني وقلت له وأجبته[17]. وكان الوزير يقترح الموضوع دائمًا. وأبو حيان يجيب عمّا اقترح، وكان الوزير يقترح موضوعًا حسبما اتفق وينتظر الإجابة، فإذا أجاب أبو حيان أثارت إجابته أفكارًا ومسائل عند الوزير، فيستطرد إليها ويسأل عنها ... وهكذا يستطرد من باب لباب، حتى إذا انتهى المجلس كان الوزير يسأله غالبًا أن يأتيه بطرفة من الطرائف يسمّيها غالبًا ملحة الوداع"[18].

وموضوعات الكتاب "متنوعة تنوعًا ظريفًا لا تخضع لترتيب ولا تبويب، وإنما تخضع لخطرات العقل وطيران الخيال، وشجون الحديث. حتى لنجد في الكتاب مسائل من كل علم وفن"[19].

والليلة السادسة التي ندرسها تعالج موضوعًا واحدًا هو أفضلية العرب على الفرس.

الدراسات السابقة:

حظيت كتب التوحيدي بدراسات حجاجية متنوعة، ولكننا لم نعثر على دراسة تناولت عينات نصية محددة عند التوحيدي، ومنها الليلة السادسة التي هي ميدان التطبيق في بحثنا، ولعل من أبرز تلك الدراسات حسب تسلسلها الزمني:

الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، رسالة ماجستير، إعداد: حسين بو بلوطة، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، الجزائر، 2010م

فن المناظرة من منظور تداولي، الإمتاع والمؤانسة للتوحيدي أنموذجاً، رسالة ماجستير، إعداد: أسماء بن فلج، جامعة محمد خيضر، الجزائر، 2012م

حجاجية الخطاب في إبداعات التوحيدي، د. أميمة صبحي، دار كنوز المعرفة العلمية، عمان، 2015م.

حجاجية المناظرات في كتاب الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيان التوحيدي، رسالة ماجستير، إعداد: خديجة خمقاني، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر، 2016م.

بلاغة الحجاج في النثر العباسي (قضية الشعوبية)، إعداد يوسف محمد عبد الله عبده، جامعة فيلادلفيا، 2016.

وقد تقاطعت هذه الدراسات في التأسيس النظري لمفهوم الحجاج وأنواعه، كما أنها قدمت رصداً عاماً للأليات الحجاجية عند التوحيدي، واعتمدت الأمثلة الجزئية المقتطعة من نصوص متعددة من كتبه المدروسة، وبذلك فإن أبرز ما يميز هذا البحث أنه توقف عند نص واحد للتوحيدي، وحاول رصد البلاغة الحجاجية لهذا النص وأثرها في إقناع المُخاطَب، انطلاقاً من أن تحليل النص هو الرائز للكشف عن جماليات الحجاج ومدى قدرته على الإقناع، وهذا أمر ربّما لا يتضح في تحليل شواهد متنوعة ومقتطعة من نصوص عدة.

حجاجية الحوار عند التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة:

تعدّدت جوانب إبداع التوحيديّ، وما يهمّنا في هذه الدراسة هو الوقوف عند مفهوم الحوار في أدبه بوصفها شكلاً حِجاجيًا، إذ إن الحوار يبرز في معظم نتاجاته، ولا سيما منها كتاب الإمتاع والمؤانسة وكتاب المقابسات، فقد برز الطابع الحواريّ الذي يقوم على مخاطبة الآخر، ويسمح للشخصيّات المتعدّدة بالتعبير عن آرائها وأفكارها دون أن ينسى نفسه، فقد كان دائم الحضور عندما كان يبدي آراءه في القضايا المطروحة.

إنّ حِجاجيّة التوحيديّ في حواريّاته في الإمتاع والمؤانسة ما كانت لتحقّق هدفها لولا مجموعة من العوامل أسهمت في تكوينها وبلورتها، يأتي في مقدمتها إيمان التوحيدي بالاختلاف، وهذا ما يمنح الحوار بين المُختلفين قيمة فكرية وعلمية، فالحقيقة ليست وقفًا على اتّجاه دون آخر، ولا مقصورة على مذهب بعينه. من هنا كنّا نراه يروي بعض المقولات التي تؤيد دور العقل في الحوار، كتلك التي رواها على لسان الإمام علي بن أبي طالب عندما قال: "إنّ الحقّ لو جاء محضًا لما اختلف فيه ذو الحِجَا، وإنّ الباطل لو جاء محضًا، لما اختلف فيه ذو الحِجَا، ولكن أخذ ضغث من هذا، وضغث من هذا ... وهذا كلام شريف يحوي معاني سمحة في العقل"[(20)].

ويدلّ تعليق التوحيديّ على القول السابق دلالة واضحة على أنّه كان يرى أنّ الحقّ لا يمكن أن يكون حليفًا لقوم دون غيرهم، وإنّما يأخذ كلّ قوم من الحقّ بنصيب ومن الباطل بنصيب، وقد تتصارع الآراء والمذاهب ولكن من المؤكّد أنّ ثمّة اتّصالاً خفيًا أو رابطة ضمنيّة تجمع بين تلك الآراء المتعارضة والمذاهب المتضاربة[21]. وهذا ما عبّر عنه أبو حيّان عندما قال: "لمّا كانت المذاهب نتائج الآراء، والآراء ثمرات العقول، والعقول منائح الله للعباد، وهذه النتائج مختلفة بالصفاء والكدر وبالكمال والنقص، وبالقلّة والكثرة، وبالخفاء والوضوح، وجب أن يجري الأمر فيها على مناهج الأديان في الاختلاف والافتراق"[22].

يمكن أن نستنتج من ذلك أن التوحيديّ آمن بالاختلاف، ورأى فيه مظهرًا من مظاهر نموّ الفكر وخصوصيّته، وحافزًا لأصحاب الآراء المختلفة على التواصل والحوار والجدل والحِجاج، فالاختلاف هو الشرط الأوّل والأساس لقيام الحِجاج ودون هذا الاختلاف لا يوجد حِجاج.

لقد استطاع التوحيديّ أن يطرح أفكاره من خلال إقامة نوع من المواجهة الفكريّة والحوار العقلانيّ ولّدت تلاقحًا فكريًّا في نتاجه كلّه، فالإمتاع والمؤانسة مركّب في مجمله من محاورات دارت بين التوحيديّ والوزير ابن العارض على عدد من الليالي، وإنّ قراءة أوليّة لمحاورات التوحيديّ تظهر أنّه اعتمد الحوار بوصفه شكلاً حِجاجيًّا أراد من خلالها تبسيط الموضوع المطروح عبر أصوات متعدّدة تجسّد الاختلاف والتعارض أو الاتّفاق[23]، والثقافة التي كان يحاورها هي ثقافة الخاصّة من علماء وفلاسفة وأدباء ومفكّرين ممّن خرجوا على النمط التقليدي المألوف وهم جماعة العلماء الذين انتمى إليهم أو ممّن ساروا على نمط الثقافة التقليديّة. واستطاع من خلال هذا الأسلوب الحِجاجيّ أن يطرح العديد من المشكلات الخلافيّة وأن يقف عند علاقة الـ (نحن، بالآخر) من خلال أسلوب المقارنة بين العرب والعجم[24]، أو المقارنة بين العلوم المختلفة[25] كالمقارنة بين النحو والمنطق، وبين الفلسفة والشريعة، وبين الشعر والنثر، وبين الحساب والبلاغة. كما جسّدت تلك المحاورات التحوّلات الفكريّة والأدبيّة، فجاءت شكلاً تعبيريًّا كاشفًا للتعارضات القائمة في عصره.

لم تقف محاورات التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة عند قالب محدد، بل كانت تتطور لتصبح أداة معرفية تسهم في الكشف عن الحقيقة أو الفكرة التي يسعى إليها عندما تتطور فكرة الحوار لديه لتنتقل من إطار السؤال والجواب إلى التفاعل ما بين متحاورين، وهذا يحقق المتعة والفائدة واستثارة العقل، إذ إن تلك المحاورات كانت تتم بين أطراف مختلفة متناقضة، فأمسى الحوار فيما بينها وسيلة لعرض الآراء المختلفة والمتنوعة والمتناقضة من زوايا متعددة، وقد ظهر هذا الحوار واضحًا في كتاب الإمتاع والمؤانسة، ولإظهار حجاجية الحوار وملامحه عند التوحيدي في هذا الكتاب سنتوقف عند نموذج تطبيقي واحد، هو الليلة السادسة[26].

الدراسة التطبيقية لليلة السادسة:

تناولت المحاورة التي دارت في الليلة السادسة فكرة أفضلية العرب على الفرس، لكن التوحيدي رفض أن يقدّم هذه الحقيقة جاهزة أو مُسلمًا بها سلفًا، بل عرض رأيه بشكل غير مباشر عبر إيهام المتلقي بعدم تملّك الحقيقة، مُظهرًا براعته في صياغة السؤال، ثم طرحه عبر أسلوب الحوار، ليترك الأصوات الأخرى تعبّر عن رأيها، مُبتعدًا عن أحادية الرأي في عمله، لئلا يُشعر المتلقي بتسلط الأديب عليه من خلال فرض رأيه.

السؤال والجواب:

بدأ التوحيدي هذه الليلة بسؤال طرحه الوزير ابن العارض عليه: "أتفضّل العرب على العجم أم العجم على العرب؟"[27]. ولم يصرّح الوزير بلفظ الفرس – وهم من قصدهم بسؤاله - بل استعان بلفظة جامعة مرادفة هي لفظة (العجم)، فأجاب التوحيدي: "الأمم عند العلماء أربع: الروم والعرب وفارس والهند، وثلاث من هؤلاء عجم، وصعب أن يقال: العرب وحدها أفضل من هؤلاء الثلاثة، مع جوامع ما لها وتفارق ما عندها"[28].

شكّلت هذه الإجابة استدراجًا سعى إليه التوحيدي لينتزع من الوزير اعترافًا وتصريحًا بمن قصدهم، ليقول (أي الوزير): "إنما أريد بهذا الفرس"[29]، مستعينًا بعامل حجاجي لغوي هو الأداة (إنما) موجّهًا الملفوظ نحو نتيجة محددة ضيقة، لئلا يتوهم التوحيدي (المتلقي) غير ذلك، فهذه الأداة تفيد القصر الذي يلجأ إليها المُحاجج ليخاطب متلقّيًا مُخطئًا أو شاكًا، لِما تحمله من قوّة توكيديّة[30]، فهي أقوى من غيرها في تأكيد المثبَت الذي يأتي بعدها، وهي تصل به إلى درجة اليقين الذي لا جدال فيه. لكنّ التوحيدي أعاد سؤال الوزير ذاتَه بصيغة أخرى، وعلى لسان شخصيّة جديدة تَمَّ استدعاؤها قصدًا هي شخصيّة ابن المقفّع، "وهو أصيل في الفرس، عريق في العجم، مُفضَّلٌ بين أهل الفضل"[31].

مناقشة القضايا ودحضها بالحجج والبراهين:

لقد استطاع التوحيدي من خلال هذا الاستدعاء لشخصيّة ابن المقفّع أن يبني محاورة داخل محاورة أعمّ عندما استحضر شخصيّة جديدة لتروي ما دار بينها وبين ابن المقفّع، وهذه الشخصيّة هي شبيب بن شبّة الذي استضافه ابن المقفّع مع صَحْبٍ له من أشراف العرب في المِرْبَد، فما إن تمهّدوا الأرض واستراحوا حتّى أقبل عليهم قائلاً: "أيُّ الأمم أعقل؟"[32]. فيصانعه القوم قصدَ مقاربته ويقولون: "فارس أعقل الأمم"، فيرفض إجابتهم مدعّمًا رفضه بأسباب أقرّها قائلاً: "كلا ليس ذلك لها ولا فيها، هم قومٌ عُلِّموا فتعلّموا، ومُثِّل لهم فامتثلوا، واقتدوا وبُدِئوا بأمرٍ فصاروا إلى اتّباعه، ليس لهم استنباط ولا استخراج"[33]، ثمّ ذكروا الروم، فنفى، وقال: "ليس ذلك

عندها، بل لهم أبدان وثيقة، وهم أصحاب بناء وهندسة ..."[34] ولما ذكروا أقواماً عدة نفى عنهم ذلك. فردّوا أمر الإجابة إليه، فقال: "العرب"[35]. ولمّا تَلاحظَ القومُ وهمس بعضهم إلى بعض امتقع لونُه وعلّل جوابه ليخرج من ظِنّة المداراة وتوهّم المصَانعة، فذكر صفات العرب، وأسباب تفوّقهم وبيّن أفضليّتهم على الأمم الأخرى، ليختم حديثه قائلاً: "فلذلك قلت لكم: إنّهم أعقل الأمم، لصحّة الفطرة، واعتدال البنية، وصواب الفِكْر، وذكاء الفهم"[36].

نرى براعة العرب الأشراف في الإجابة عن تساؤل ابن المقفّع قصد مقاربته وتوخّي مصانعته، إذ نجحوا في جعل الرجل يبرز نواقص كلّ أمّة تمهيداً للحكم النهائيّ الذي أقرّه، وهو أفضليّة العرب على العجم. وتبدو براعة التوحيدي في جانبين حجاجيّين: الأوّل حواري من خلاله استدعاء شخصيّة ابن المقفّع[37]، والثاني اعتماده أسلوب استحضار الحدث من خلال طريقة عرض المحاورة وتمثّلت هذه الطريقة "في استحضار العنصر المنتقَى للمحاجّة وجعله ماثلاً في أعين المخاطَبين وفي أذهانهم. وهذه الوسيلة، أي وسيلة الإحضار عامل جوهري في الحجاج لطالما أهمله المنظور العقلاني في الاستدلال، ويستمدّ الإحضار أو الحضور أهميّته الحجاجيّة من كونه يؤثّر في وجداننا تأثيرًا مباشرًا"[38]، فاستحضار الحدث يمنح الخطاب الحجاجي قيمة حجاجيّة تؤثّر في المتلقّي، فيصبح في إمكانه أن يعيش الحدث، ويشعر بمصداقيّته، فيرسّخ اليقين في القلوب الشاكّة، ما يؤدّي إلى اقتناعها وتحقيق النتيجة المرجوّة. وقد بدا ذلك واضحًا في اقتناع الوزير الذي تأثّر تأثّرًا بارزًا، فاستعان بأسلوب التعجّب الحجاجي للتعبير عن استحسانه لما سمع من كلام ابن المقفّع ورواية التوحيدي فقال: "ما أحسن ما قال ابن المقفّع! وما أحسن ما قصصته وما أتيت به!"[39] إلا أنّه سرعان ما ألحق إعجابه بطلبٍ وجّهه إلى التوحيدي ليدلي بدلوه في هذه الحواريّة، فيقدّم ما لديه، ويُسمعَه وجهةَ نظره الخاصّة قائلاً: "هات الآن ما عندك من مسموع ومستنبَط"[40]. معتمداً أسلوب الاستدراج، وهو ما سنتوقف عنده في الفقرة الآتية.

أسلوب الاستدراج وصولاً إلى النتائج:

لقد برع التوحيدي في إيهام المتلقّي أنّ الحدثَ بدا وكأنّه أمر من خلال محاضرة الوزير له بالسؤال ذاته، ولكنّه في الحقيقة استدراج من التوحيدي نفسه لا من الوزير كي لا يبدو كمن يقدّم رأيه قسرًا أو فرضًا، وقد استعان بفعل لغوي جاء على صيغة الأمر عندما قال الوزير له: (هات ما عندك) أراد من خلاله إحداث تأثير في المتلقّي آخذين بالحسبان أنّ إنجاز فعل من هذا النوع مشروط بأكثر من شرط سياقي لإتمام تحقيقه، ومن هذه الشروط أن يكون المُرسِل صاحب سلطة وهذه السلطة عرفيّة ومتواضع عليها، فلو تلفّظ بهذا الخطاب غير الوزير، فإنّه لن يُفْلح في إنجاز هذا الحدث الكلامي، ولن يؤدّي هذا الحدث الكلامي دوره الحجاجي المنوط به ولَمَا كنّا رأينا تأثير هذا الفعل في المتلقّي (التوحيدي) الذي استجاب لطلب الوزير. فالتوحيدي لم يعلن رأيه

بلغته في المرّة الأولى بل أحال إلى رأي ابن المقفع، ذي الأصل الفارسي، وتوارى خلفه، ولهذا خاطب الوزير قائلاً: "إن كان ما قال هذا الرجل البارع في أدبه، المقدّم بعقله كافيًا، فالزيادة عليه فضلٌ مُستغنى عنه، وإعقابه بما هو مثله لا فائدة فيه"[41]. لكنّه ما لبث أن أظهر لغته واضحة جليّة، وجعلها طافية على سطح الخطاب بناء على طلب الوزير ليرمي بسهمه ويبدي ما لديه، فكان ممّا قاله: "لكلّ أمّةٍ فضائل ورذائل، ولكلّ قوم محاسن ومساوئ، ولكلّ طائفة من الناس في صناعتها وحلّها وعقدها كمالٌ وتقصير، وهذا يقضي بأنّ الخيرات والفضائل والشرور والنقائص مُفَاضة على جميع الخَلق، مفضوضة بين كلّهم"[42].

عرض التوحيدي فكرته عرضاً كلّيًا، فالأمم كلّها تتشارك في الخيرات والفضائل والشرور، ثمّ ذكر ما لكلّ أمّة من الفضائل والعلوم معتمداً أسلوب التفريع[43] أي تقسيم الكلّ إلى أجزائه، وهو أسلوب بلاغي يرفض المحاجج من خلاله الوقوف عند الصورة الكلّيّة، بل يعمد إلى استقصاء أجزائها المكوّنة لها للإحاطة بها إحاطة تامّة، ليكون كلّ جزء من تلك الأجزاء بمنزلة حُجّة تخدم القضيّة الكليّة وتعضدها، ما يؤدّي إلى تقوية موقعه وتدعيم دعواه. وليمنح كلامه مزيدًا من القوّة الحجاجيّة عمد إلى أسلوب التقديم والتأخير[44] وهو أسلوب من أساليب القصر، لكنّه أسلوب معنوي مرتبط بالسياق لا بوجود أداة تميّزه، لهذا يلجأ إليه المحاجج لما فيه من سعة وخفاء، فكلّ ما يخالف العادة يكون أكثر تأثيرًا في تحقيق الفهم من المألوف، وهذا ما فعله التوحيدي، إذ قدّم الأهمّ حتّى يكون واضحًا، فذكر الأمة ثمّ ألحق ذِكرها بذكر فضائلها وما تتميّز به، مكسبًا كلامه قوّة إقناعيّة تجذب المتلقّي وتحقّق الإقناع قائلاً: "فللفرس السياسة والآداب والحدود والرسوم، وللروم العلم والحكمة، وللهند الفكر والرويّة والخفّة والسحر والأناة، وللتّرك الشجاعة والإقدام، وللزنج الصبر والكدّ والفرح، وللعرب النجدة والقِرى، والوفاء، والبلاء، والجود والذِّمام والخَطابة والبيان"[45]. ثمّ تابع وذكر: "أنّ لكلّ أمّة زمان على ضدّها، وهذا بيّن مكشوف إذا أرسلت وهمك في دولة يونان والإسكندر ..."[46]، ولتحقيق مزيد من الإقناع استحضر رأياً جديداً لعَلَمٍ آخر من أعلام الفرس هو أبو مسلم الخراساني[47] يؤيّد ما ذهب إليه؛ إذ قال: "ولهذا قال أبو مسلم صاحب الدولة حين قيل له: أيُّ الناسِ وجدتهم أشجع؟ فقال: كلّ قوم في إقبال دولتهم شجعان. وقد صدق"[48].

وبهذا يكون التوحيدي قد استدلّ على مكانة العرب باستدعاء أصوات تنتمي إلى الفرس نفسها للتأكيد وإقناع المتلقّي بما ذهب إليه.

أسلوب القياس وعرض الأدلة:

ظهر هذا الأسلوب في مواضع عدة، ففي ختام حديثه، في الليلة المدروسة، يستدعي التوحيدي صوتين جديدين هما القاضي أبو حامد المرْوَرُذيّ[49]، وأبو الحسن الأنصاري[50]

اللذان أيّدا ما ذهب إليه التوحيدي، واستحضرا خصلة لئيمة وفعلة ذميمة للفرس لا يقبلها العقل ولم تُجزْها الطبيعة، ولا أقرّتها الشريعة، ومع ذلك استحسنوها وعملوا بها على الرغم من ادّعائهم الحِلْم والعِلم والحزم والعزم، فكان ذلك دليل جهلهم وضعف عقولهم. ساق التوحيدي قول القاضي أبي حامد، وصاغه في قالب حجاجي ليصرّح بزور ما جاء به الفرس ويدحض ادّعاءاتهم معتمدًا أسلوب القياس[51]، والقياس نوع من الاستدلال، فكما يستدلّ بالخبر لإيقاع الصدق والإقناع فكذلك يستدلّ بالقياس، وللقياس أنواع أبرزها القياس المنطقي، وهو بنية أساسيّة في كلّ خطاب حجاجي يُبنَى على ثلاثة أركان: مقدّمة كبرى تكون موضع اتّفاق وقبول لدى المتلقّي، مقدّمة صغرى ثمّ نتيجة، وتكون وظيفة القياس المنطقي في الخطاب الحجاجي هي الانتقال ممّا هو مسلَّم به عند المتلقّي أي من المقدّمة الكبرى وصولاً إلى النتيجة المتوخّاة. ويمكن للمحاجج أن يعرض هذه الأركان في الترتيب السابق، أو ربّما يوزّعها في خطابه الحجاجي بالطريقة التي يريد[52].

يقول التوحيدي: "ومن تمام طغيانهم، وشدّة بهتانهم، أنّهم زعموا أنّ هذا بإذن من الله تعالى، وشريعة أتت من عند الله، والله تعالى حرّم الخبائث من المطعومات فكيف حلّل الخبائث من المنكوحات؟ قال: وكذب القوم، لم يكن زرادشت نبيًّا[53]، ولو كان نبيًّا لذكره الله تعالى في عرض الأنبياء الذين نوّه بأسمائهم، وردّدَ ذكرهم في كتابه"[54].

اعتمد التوحيدي في خطابه السابق على القياس المنطقي ليصل إلى نتيجتين يمكن أن نصوّرهما على النحو الآتي:

مقدّمة كبرى (1): الله تعالى حرّم الخبائث.

مقدّمة صغرى (2): الفرس حلّلوا الخبائث.

النتيجة (1): طغيان الفرس وشدّة بهتانهم.

مقدّمة كبرى (2): الله تعالى نوّه بأسماء أنبيائه وأورد ذكرهم في كتابه.

مقدّمة صغرى (2): لو كان زرادشت نبيًّا لذكره الله.

النتيجة (2): كذب القوم (الفرس)، فلم يكن زرادشت نبيًّا.

يعتمد التوحيدي في إثبات آرائه على استشهادات متنوعة تأتي لتعزيز الرأي، فعندما أراد أن يؤيّد بحُجّة الدليل ضرورة الزواج في بعاد الأنساب لا في الأقارب، نوّع في أدلته فكان أن استشهد بالآتي:

- الحديث الشريف: "اغتربوا لا تَضْوُوا"[55].
- الشاهد الشعري، كقول أبي الحسن على لسان الأصمعي منشدًا عن العرب قول النابغة الذبياني في مدح صاحب له[56]:

فتًى لم تلدْه بنت عمّ قريبةٍ فيَضْوى، وقد يضوى رديدُ الأقاربِ

- المثل: " وقال أيضًا: العرب تقول: ليس أضوى من القرائب، ولا أنجب من الغرائب"[57].

وتُعَدّ حُجّة الدليل من دعامات الحجاج القويّة، فهي قادرة على تجاوز معارضة الخصم، وتبكيته وانتزاع تسليمه، إنّها حجج جاهزة تكتسب قوّتها من مصدرها ومن مصادقة الناس عليها، وينحصر تدخّل المحاجج في اختيارها وتوجيهها إلى الغرض المقصود للاستدلال عليه. وقد ربطها بعضهم بالحواريّة "فالشاهد خطاب داخل خطاب، أقوال تنتمي إلى خطابات أخرى ...، وتعود أهميّة الشاهد إلى أنّ الخطاب لا ينبغي له أن يأتي أحاديّ اللغة والصوت، فالبلاغة تقتضي أن يستشهد بنصوص وأقوال من خطابات أخرى، وأن لا يسمع صوت المتكلّم فقط بل يدعمه بأصوات أخرى لها مصداقيّتها وقوّتها"[58]. استعان التوحيدي بحُجّة الدليل في أكثر من موضع، وكان أجلاها استشهاده بالآيات القرآنيّة، ليؤيّد صواب فكرة عرضها، فعمل هذا الاقتباس على إشباع المعنى وإغنائه وإكسابه قوّة ومتانة، فالشاهد القرآني أبرز حجج الدليل وأشدّها تأثيرًا وإقناعًا، وقد جاء هذا الاستشهاد عند وصفه حال العرب وقد جاءتهم المناقب والمفاخر، ووقعت فضائل الأجيال عليهم، يقول: "... وهكذا يكون كلّ شيء تولاه الله بتوفيقه، وساقه إلى أهله بتأييده، وحلّى مستحقّيه باختياره، ولا غالب لأمر الله، ولا مُبدّل لحكم الله، ولذلك قال الله تعالى: (قل اللّهم مالك الملك تؤتي الملك مَن تشاء، وتنزع الملك عمّن تشاء وتعزّ مَن تشاء وتذلّ مَن تشاء بيدك الخير إنّك على كلّ شيء قدير) [آل عمران/26]"[59]. واعتمد التوحيدي الطريقة ذاتها عندما أراد النيل من الفرس ومن ملكهم زرادشت الذي أزال الله ملكه، فقال التوحيدي: "واتّفق لزرادشت ملك ركيك فرفع باطله، وما نزع الله عنهم الملك إلا بالحقّ. كما قال الله تعالى: (فلمّا آسفونا انتقمنا منهم)[الزخرف/55]"[60]. أدّى الاستشهاد وظيفة معرفيّة تجلّت في توافق المعاني المستلهَمة مع ما يريد المحاجج التعبير عنه تعبيرًا صادقًا للاستدلال والبرهنة على صحّة الرأي الذي قدّمه، ولإثارة انتباه المتلقّي، فكان هذا الدليل حُجّة دامغة لا يمكن ردّها، رفعت ذات المحاجج إلى أعلى درجة، ومنحتها سلطة استمدّها من سلطة الخطاب الذي نقلهُ، وأصبحت بمنزلة حجاج توارى المحاجج وراءه.

الآليات اللغوية للحجاج الحواري:

وتجلّت براعة التوحيدي وحنكته في حواريّته عندما استدعى أقوال الخصم تأكيدًا لحرصه على استيعاب المحاورة للآراء المختلفة والمتعارضة حول الموضوع الواحد، واستكمالاً لعمليّة الإيهام بعدم تملّك الحقيقة الواحدة الثابتة، إذ استدعى نصوصًا من كتاب الجَيْهاني[61] يسبّ فيه العرب، ويتناول أعراضهم، ويحطّ من قدرهم، ويتّهمهم بالبداوة، وافتقاد الفضائل البشريّة، وممّا

أورده: "يأكلون اليرابيع والضباب والجرذان والحيّات، ويتغاورون ويتساورون، ويتهاجَون ويتفاحشون، وكأنّهم قد سُلِخُوا من فضائل البشر، ولبسوا أُهُبَ الخنازير. قال: ولهذا كان كسرى يسمّي ملك العرب سَكَان شاه، أي ملك الكلاب ..."[62]. فيعلو صوت التوحيدي وتتدفّق كلماته وهو يفنّد آراء الجيهاني، مستعينًا بالأدلّة المنطقيّة والحجاج العقلي، مصوّرًا حياة العرب في باديتهم وظروف العيش القاسية التي فرضت عليهم أمورًا كثيرة معتمدًا أسلوب الاستفهام التقريري، لأنّه لا يطلب إجابة عن أسئلته، فالجواب مقدّر سلفاً، ويعدّ أسلوب الاستفهام من أنجع الأفعال اللغويّة حجاجًا، وهو ما يتوسّل به الكثيرون في حجاجهم، يمكن أن يكون استفهامًا حقيقيًّا غرضه الحصول على جواب يوصّفه المحاجج ليصبح عنصرًا من عناصر العلاقة الحجاجيّة، له بُعده وطابعه الحجاجي، وهو ما لحظناه في السؤال الذي طرحه الوزير على التوحيدي في بداية الليلة: (أتفضل العرب على العجم أم العجم على العرب؟). ويمكن أن يكون استفهامًا حجاجيًّا، وهو "نمط من الاستفهام يستلزم تأويل القول المراد تحليله انطلاقًا من قيمته الحجاجيّة"[63]. كقول التوحيدي مخاطبًا الجيهاني: "أتراه لا يعلم لو نزل ذلك القفر وتلك الجزيرة، وذلك المكان الخاوي وتلك الفيافي والموامي، كلّ كسرى كان في الفرس، وكلّ قيصر كان في الروم، وكلّ بَلْهَوْرَ كان بالهند... ما كانوا يعدّون هذه الأحوال، لأنّ من جاع أكل ما وجد وطعم ما لحق، وشرب ما قدر عليه، حبًّا للحياة، وطلبًا للبقاء، وجزعًا من الموت، وهربًا من الفناء"[64].

إنّ اعتماد السؤال في الاستفهام التقريري سيكون أشدّ إقناعًا للمتلقّي وأقوى حُجّة عليه، إذ يقوم بدور كبير في العمليّة الحجاجيّة لِما يعمله من جذب المتلقّي في عمليّة الاستدلال. وهو أسلوب إنشائي طلبي، يخدم مقاصد المتلقّي، ويسهم في بناء النصّ الحجاجي بما يملكه من قدرة على الإيحاء وقوّة الإبلاغ. لذلك ترى التوحيدي يكرّر هذا الأسلوب الحجاجي وهو يوجّه خطابه إلى الجيهاني مدافعًا عن العرب وما ألفوه في حياتهم في تلك الفيافي والأماكن القفرة قائلاً: "أترى أنوشروان إذا وقع إلى فيافي بني أسد وبَرٍّ وَبار وسفوح طيبة، ورمل يَبْرين وساحة هبير، وجاع وعطِش وعَرِيَ، أما كان يأكل اليَرْبوع والجُرذان، وما كان يشرب بول الجمل وماء البئر، وما أَسَنَ في تلك الوهَدَات؟ أو ما كان يلبس البُرْجَدَ والخَميصة والسَّمل من الثياب وما دونه وأخشن؟"[65] ثمّ يؤكّد ما يذهب إليه مستعينًا بأسلوب القسم: "بلى والله، ويأكل حشراتِ الأرض ونباتَ الجبال، وكلّ ما حَمَضَ ومَرّ وخَبُث وضَرّ ..."[66].

وتتدفّق كلمات التوحيدي، وهو يقدّم الحُجّة تلو الحُجّة مصوّرًا حال العرب ومظاهر تحضّرهم في باديتهم، مستعينًا بأسلوب التكرار الحجاجي وهو يتحدّث عن أسواقهم التي كانت تقوم طوال السنة وفي أماكن مختلفة من جزيرتهم فكان ممّا قاله: "وممّا يدلّ على تحضّرهم في باديتهم، وتبدّيهم في تحضّرهم، وتحلّيهم بأشرف أحوال الأمرين، أسواقهم التي لهم في الجاهليّة مثل دومة الجندل بقرى كلب[67] وهي النصف بين العراق والشام، وكان ينزلها الناس أوّل يوم من

شهر ربيع الأوّل، فيقيمون أسواقهم بالبيع والشراء والأخذ والعطاء، وكان يعشّرهم أَكَيْدِر دُومة[68]، وربّما غلبت على السوق كلب، فيعشّرهم بعض رؤساء كلب، فيقوم سوقهم إلى آخر الشهر، ثمّ ينتقلون إلى سوق هجر[69]، وهو المشقرّ في شهر ربيع الآخر، فتقوم أسواقهم،... ثم يرتحلون إلى عُمَان[70]، فتقوم سوقهم بديار دَبا[71]، ثم بصحار[72]، ثم يرتحلون فينزل إرَم[73] وقرى الشّجْر [74] فتقوم أسواقهم أيامًا، ..."[75].

اختار التوحيدي عبارة (تقوم أسواقهم) وكرّرها في هذا المقطع تلك الأسواق التي كانت تقام على مدار السنة، فيحضرها مَنْ قرب من العرب ومن بَعُدَ. وكان لها دور كبير في الحياة الثقافيّة والاجتماعيّة والسياسيّة للعرب آنذاك. وهذه حُجّة للخصم (الجيهاني) أثبت من خلالها تحضّر العرب في باديتهم، وقد اعتمد التوحيدي في حجاجه أسلوب التكرار وهو أسلوب حجاجي أُحْسِنَ استخدامُه فاستطاع أن يمنح خطابه قوّة وتأكيدًا، ودفعاً للشكّ، وإسهامًا في زيادة الفهم، وجذب انتباه المتلقّي وامتلاكه.

كما استطاع التوحيدي أن يمنح كلامه مصداقيّة وفعاليّة حجاجيّة من خلال استحضار الحدث الذي تمثّل بذكر المكان (دومة جندل، قرى كلب، سوق هَجَر، ديار دَبا، صحار، إرَم، عَدَن، ...) وذكر الزمان (أوّل يوم من شهر ربيع الأوّل، شهر ربيع الآخر)، إلى جانب أسماء بعض الشخصيّات.

إنّ قوّة هذه الطريقة الحجاجيّة لا تقف عند دورها في التأثير على المتلقّي لإقناعه، بل يمتدّ ذلك التأثير ليجعل من خطاب التوحيدي نفسه وثيقة تاريخيّة مرتبطة بزمان ومكان محدّدَين تؤكّد تحضّر العرب في باديتهم، وتبديهم في تحضّرهم.

ثمّ يعرض نصًا آخر من نصوص الجيهاني يقول فيه مفاخرًا العرب: "ممّا يدلّ على شرفنا وتقدّمنا وعزّنا وعلوّ مكاننا، أنّ الله فاض علينا النعم، ووسّع لدينا القِمَم، وبوّأنا الجنان والأرياف ونعّمنا وأترفنا. ولم يفعل هذا بالعرب، بل أشقاهم وعذّبهم، وضيّق عليهم وحرمهم، وجمعهم في جزيرة حرجة، ورُقعة صغيرة، وسقاهم بأرنقَ ضاحٍ[76]، وبهذا يعلم أنّ المخصوص بالنعمة والمقصود بالكرامة فوق المقصود بالإهانة"[77]، ليعلو صوت التوحيدي من جديد وهو يدافع وينافح، وكان ممّا قاله: "... وعنده أنّ الجاهل إذا لبس الثوب الناعم، وأكل الخبز الحُوّارى[78] وركب الجياد، وتقلّب على الحشيّة، وشرب الرحيق، وباشر الحسناء، وهو أشرف من العالم إذا لبس الأطمار[79] وطعم العشب، وشرب الماء القراح، وتوسّد الأرض ... وهذا خطأ من الرأي ومردود من الحكم عند الله تعالى أوّلاً ثمّ عند جميع أهل الفضل والحِجا ... ألا يعلم أنّ المدار على العقل الذي مَنْ حُرِمه فهو أنقص من كلّ فقير، وعلى الدّين الذي عري منه فهو أسوأ حالاً من كلّ موسر، ونعمة الله على ضربين: أحد الضربين عمّ به عباده، وغمر بفضله خليقته ...

وهذا هو العدل المخلوط بالإحسان ... والضرب الثاني هو الذي يُستحقّ بالعمل والاجتهاد والسعي والارتياد والاختيار والاعتقاد ... ولهذا حرَم العاصي المخالف وأنال الطائعَ الموافق ..."[80].

أظهرت الليلة السادسة براعة التوحيدي من خلال استدعائه شخصيّة ابن المقفّع وحواره مع الأشراف، ثمّ استدعاء نصوص الخصم (الجيهانيّ) وتقديمها كما هي، ثمّ العمل على دحضها مستعينًا بشتّى الأدوات والأساليب اللغوية الحجاجيّة التي توزّعت على مستويات اللغة كافّة، فتناغم بناء التراكيب وطريقى توزيع الجمل في تشكيل إيقاع موسيقي يعبّر عن الحالة المرادة، أو المعنى الذي يريده التوحيدي،عندما سعى إلى تنويع تراكيبه بين طول وقصر، كأنّه ينوّع الإيقاعات التي تتّفق وتجاوب تجربته الشعوريّة، أو رؤاه وأفكاره، كقوله مدافعًا عن العرب: "والعرب قد قدّسها الله عن هذا الباب بأسره، وجَبَلها على أشرف الأخلاق بقدرته، ولهذا تجد أحدهم وهو في بتّ[81] حافيًا حاسرًا يذكر الكرم، ويفتخر بالمحمدة، وينتحل النجدة، ويحتمل الكَلّ، ويضحك في وجد ضيفه، ويستقبله بالبشر ..."[82].

فقد نوّع التوحيدي في جمله طولاً وقصراً مع ختم كل جملتين بإيقاع متشابه (السجع)، (أسره وقدرته)، (المحمدة، النجدة) وارتباط الإيقاع بالمعنى أدى إلى التأثير في النفس، لا سيما عندما لا يكون مبالغاً فيه، وهذا ما نلمسه عند التوحيدي من خلال اقتصاده في السجع.

كذلك أسهم المستوى الصرفي في توليد تناغم موسيقي متواز بين الجمل، فقد استعان التوحيدي بعناصر صرفية متنوعة في بناء جملته، لعل أبرزها المشتقّات لِما تملكه من قدرة على خدمة المعنى. وتُعَدّ المشتقّات من نماذج الوصف وهي تختلف في دلالتها الصرفيّة وتتفاوت في قوّتها، لذلك يستعمل المحاجج الصيغة التي يرى أنّها الأكثر ملاءمة في خطابه الحجاجي للتعبير عن وجهة نظره. ولعلّ اسم التفضيل أبرز المشتقّات التي استخدمها التوحيدي واحتجّ بها وهو من الصيغ الصرفيّة التي تستخدم في ترتيب الحجج وتوجيهها في سبيل الإقناع، لذلك يمكن عدّه طريقة من طرائق السلّم الحجاجي[83] بفضل ما يمتلكه من قوة حجاجيّة، كما أنّ من نماذج الحجاج التي يلجأ إليها المحاجج ليسوّغ لنفسه إقامة الحُجّة التي يسعى إليها. يقول التوحيدي معبّرًا عن تميّز اللغة العربيّة دون سائر اللغات:

"فالْحَظْ عرضَ اللغات الذي هو بين أشدّها تلابسًا وتداخلاً وترادفًا وتعاظُلاً وتعسّرًا وتعوّصًا، وإلى ما بعدها ممّا هو أسلس حروفًا وأرقّ لفظًا، وأخفّ سمعًا، وألطف أوزانًا وأحضر عِيانًا، وأحلى مخرجًا وأجلى منهجًا، وأعلى مدرجًا، وأعدل عدلاً، وأوضح فضلاً، وأصحّ وصلاً، إلى أن تنزل إلى لغة بعد لغة، ثمّ تنتهي إلى العربيّة، فإنّك تحكم بأنّ المبدأ الذي أشرنا إليه في العوائص والأغماض، سرى قليلاً قليلاً حتّى وقف على العربيّة في الإفصاح والإيماض"[84].

فقد برز في هذا المقطع اسم التفضيل، بوصفه وسيلة حجاجية، في تقديم المعنى، فالكاتب في معرض المفاضلة والموازنة بين اللغات، فكان اسم التفضيل الذي تكرر في المقطع اثنتي عشرة مرة، في كل مرة يقدّم فيها صفة تتفوق بها اللغة العربية على غيرها، يضاف إلى ذلك ما ولّه هذا الاستهمال من إيقاعية في النص، تمثلت في تشابه جمل المقطع من حيث البنية والتركيب والتوازي، وهذا ما يدعم الدلالة المرادة ويلفت نظر المتلقي إليها.

وبرزت حجاجيّة التوحيدي على المستوى المعجمي للّغة من خلال اختيار الألفاظ الملائمة للمعنى، فقد توقف عند هذه القضية في غير موضع في كتابه الإمتاع والمؤانسة[85]، فقد تنبّه أنّ الألفاظ ذات مراتب متفاوتة في الفضل، وكان التوحيدي ومَن تحدّث عن لسانهم من العلماء، قد عَدّوا المعاني سابقةً على الألفاظ[86]، فالمعنى، كما يشير التوحيدي مطلوب العقل، أمّا الألفاظ فلا تتجاوز أن تكون كالحلل والمعارض[87]، لكنّ الألفاظ متفاوتة في الفصل في تعبيرها عن المعنى؛ لأنّ الوصول إلى المعنى يتطلّب حسن اختيار اللفظ ليقع في النفس والعقل الموقع المناسب. وهنا يكمن ارتباط الحجاج بالمستوى المعجمي الذي تشكّل فيه الكلمة وحدته الأساسيّة، إذ يعمد المحاجج إلى انتقاء لفظ دون آخر لغاية حجاجيّة، فيحلّ اللفظ المحدّد مكانًا معيّنًا يقود من خلاله المتلقّي إلى الغاية التي يقصدها. والانتقاء "قانون حجاجي عام يعني الاختيار الدقيق والواعي لدقائق الخطاب قبل قضاياه الكبرى"[88]. وهذا ما نلحظه في قول التوحيدي: "فليستحيِ الجيهاني بعد هذا البيان والكشف والإيضاح"[89]، اختار التوحيدي لفظة (ليستحيِ)، والاستحياء هو الخجل، فما قاله الجيهاني، بعيد عن الحقيقة ومُنافٍ للواقع، ويدلّ على جهل وعدم معرفة بدقائق الأمور، وقد شكّل هذا الاختيار اللفظي رافدًا قويًّا دعمَ ما قدّمه التوحيدي، وقاد المتلقّي إلى الغاية المرجوّة وهي قبح ما جاء به الجيهاني. ويقول التوحيدي في موضع آخر: "أتراه لو نزل ذلك القفر، وتلك الجزيرة، وذلك المكان الخاوي وتلك الفيافي كلّ كسرى كان في الفرس ..."[90]. استعان التوحيدي بألفاظ دالة على الفقر والجوع ليعبّر عن قساوة الحياة وصعوبة العيش في تلك الجزيرة التي عاب الجيهاني على أهلها ما أكلوه وما شربوه وما لبسوه، فلا هي سهول خصبة ولا جبال خضراء ولا بادية يمكن للإنسان أن ينتفع بما فيها، بل مفازات ممتدّة وفلوات واسعة لا ماء فيها ولا أنيس، لذلك يضطرّ الإنسان أن يأكل ويشرب ما يجده طلبًا للبقاء وهربًا من الفناء.

لا شكّ أن دقة التوحيدي في اختيار اللفظ المناسب، جعل من تلك الألفاظ أقدر على الإقناع. وقد أكّد التوحيديّ كثيرًا أهميّة توخّي الدقّة في اختيار الألفاظ المناسبة، واهتمّ بالنص على الفروق الدقيقة ولاسيّما بين الكلمات المترادفة وهو القائل: "إذا لحظنا المعاني مختلفة طلبنا لها أسماء مختلفة ليكون ذلك معونة لنا في تحديد الأشياء، أو في وصف الأشياء من طريق الإقناع الكافي للجدل والتهمة، أو من طريق البرهان القاطع بالحُجّة، الرافع للشبهة، أو من طريق التقليد الجاري على السنّة والعادة"[91]. فإذا ما تناول فكرة أحاط بجوانبها كلّها، واستقصى المعاني التي

تتضمنها كلّها وانتقى اللفظ المناسب ليعبّر به عن المعنى المطلوب بكلّ دقّة كقوله مدافعًا عن العرب: "... وهذا فاشٍ في العرب، لطول وحدتها، وصفاء فكرتها، وجودة بنيتها واعتدال هيئتها، وصحّة فطرتها، وخلاء ذرعها، واتّقاد طبعها، وسعة لفتها، وتصاريف كلامها في أسمائها وأفعالها وحروفها، وجولانها في اشتقاقاتها، ومآخذها البديعة وفي استعاراتها، وغرائب تصرّفها في اختصاراتها، ولطف كناياتها في مقابلة تصريحاتها، وفنون تبحبحها في أكناف مقاصدها، وعجيب مقاربتها في حركات لفظها ..."[92].

إنّ حرص التوحيدي الشديد على توخّي الدقّة في تحديد معاني الألفاظ إنّما هو ثمرة من ثمرات معرفته وفلسفته، ونتيجة لطبيعة الحياة العقليّة التي كانت سائدة في عصره وما رافقها من نموّ معرفي تطلّب المزيد من الدقّة في تحديد معاني الألفاظ. واستعان التوحيدي بمجموعة من العوامل والروابط الحجاجيّة، وتشتمل اللغة العربيّة على عدد كبير منها بعضها يرتبط بالمستوى الصرفي، وبعضها ينتمي إلى المستوى المعجمي بوصفه وحدات معجميّة وبعضها يرتبط بالمستوى التركيبي وجميعها تقوم بدور فعّال في العمليّة الحجاجيّة.

أمّا الروابط الحجاجيّة في العينة المدروسة، فتكمن قيمتها في أنّها تؤدي دورين مُهمّين هما: الربط الحجاجي بين قضيّتين أو أكثر، وترتيب درجاتها بوصف هذه القضايا حججاً في الخطاب الحجاجي، ويقوم المحاجج بوضع هذه الروابط مواضعها الصحيحة بحيث تؤدّي دورها في إيصال الرسالة إلى المتلقّي لتحقيق التأثير المطلوب[93]، ويمكن أن تلمّس أثر هذه الروابط من خلال الشاهد الآتي:

يقول التوحيدي: "والعرب قَدْ قدّسها الله عن هذا الباب بأسره، وجبلها على أشرف الأخلاق بقدرته، ولهذا تجد أحدهم وهو في بتّ حافياً حاسراً يذكر الكرم، ويفتخر بالمحمدة، وينتحل النجدة ..."[94]. استعان التوحيدي في هذا المثال بمجموعة من الروابط الحجاجيّة منها لام الدالة على التعليل في قوله (لهذا) وهي رابط يربْط بين الحُجّة التي قبله (الله جبل العرب على أشرف الأخلاق بقدرته) والنتيجة التي تليها (تفاخر العرب بالمحامد والنجدة رغم قساوة العيش). كما استعان بحرف العطف (الواو) وهي من أهم الروابط الحجاجيّة، فهي رابط حجاجي مدعّم للحجج المتساوقة أو المتساندة لا تقوم بدور الجمع بين الحجج فحسب، بل تقوّي تلك الحجج وتسبكها معًا للتضافر في تقوية المعنى المراد.

وإضافة للام والتعليل والواو، برزت في النص المدروس ثلاثة روابط أخرى أدت وظيفة الربط الحجاجي في النص، وهي الرابط (لكنْ)، وهو حرف استدراك، ومعنى الاستدراك أن تنسب حكماً لاسمها يخالف المحكوم عليه قبلها[95]، وذكر الرماني أنّها: "تتوسّط بين كلامَين متغايرَين نفياً وإيجاباً، فيُستدرَك بها النفي بإيجاب، والإيجاب بالنفي"[96]. وقد ظهر هذا الرابط في قول

التوحيدي على لسان ابن المقفع: "كأنّكم تظنّون فيّ مقاربتكم فوَالله لوَدَدْتُ لو أنّ الأمر ليس لكم ولا فيكم، ولكنْ كرهت إن فاتني الأمر أن يفوتني الصواب"[97]. فنحن أمام حجتين الأولى وردت قبل الرابط (لكن) والثانية أتت بعد، فابن المقفع وإن كان يكره أن يكون التميز والفضل للعرب (الحجة الأولى) لكن رغبته في إبراز الحق (الحجة الثانية) هي التي تدفعه إلى إقرار ذلك، فالحجة الثانية تخلق تعارضاً حجاجياً يجعل من الحجة بعد الرابط أقوى من الحجة التي سبقتها.

كذلك يبرز في النص المدروس الرابط (بل) الذي يقيم علاقة حجاجية مركبة من علاقتين حجاجيتين: علاقة بين الحجة الأولى التي ترد قبل الرابط الحجاجي وعلاقة حجاجية ثانية وهي التي ترد بعد (بل)[98]، وهو ما نلحظه في قول التوحيدي:

"وقال الجيهانيّ: ممّا يدلّ على شرفنا وتقدّمنا ... أنّ الله فاض علينا النعم، ووسّع لدينا القسم، وبوّأنا الجنان والأرياف، ونعّمنا وأترفنا، ولم يفعل هذا بالعرب، بل أشقاهم وعذّبهم ..."[99].

مثّلت (بل) في هذا المثال رابطاً حِجاجيّاً، إذْ أقامت علاقة حِجاجيّة مركّبة تتكون من:

الحجّة الأولى: وهي الواقعة قبل الرابط (بل) مفادها: الله لم ينعم على العرب كما أنعَم على الفرس.

الحجّة الثانية: وهي الواقعة بعد الرابط (بل) مفادها: الله كرّم الفرس وأشقى العرب.

لا يريد المُحاجج في هذا المثال إبطال ما قبل (بل) بقدر ما يريد الانتقال من درجة دنيا في الحِجاج مثّلتها الحجّة الأولى إلى درجة عليا مثّلتها الحجّة الثانية، لينتهي المُحاجج إلى نتيجة مفادها: الفرس أفضل من العرب.

ومن الروابط الحجاجية في النص المدروس الرابط (حتى) وهي من أدوات التساوق الحجاجي، أي إنها تخدم نتيجة واحدة، والحجة التي تأتي بعدها هي الأقوى[100]، وهذا ما نلمحه في قول التوحيدي: "فسلكوا بها البلاد، وجعلوا بينهم شيئاً ينتهون به عن المنكر ويرغّبهم في الجميل، ويتجنّبون به الدناءة، ويحضّهم على المكارم، حتّى إنّ الرجل منهم وهو في فجّ من الأرض يصف المكارم فما يُبقي من نعتها شيئاً ..."[101]. ربطت (حتّى) في هذا المثال بين مجموعة من الحجج، فقد وردت قبلها أربع حجج متساوقة تسعى لتأكيد نتيجة واحدة هي أفضلية العرب وهي:

حجّة (1): جعلوا بينهم شيئاً ينتهون به عن المنكر.

حجّة (2): يرغبّهم في الجميل.

حجّة (3): يتجنّبون به الدناءة.

حجّة (4) يحضّهم على المكارم.

ثم دعمها بحجة خامسة أتت بعد الرابط (حتى) وهي: "الرجل منهم يصف المكارم فما يبقى من نعتها شيئاً". وهذه الحجج جميعها تخدم نتيجة واحدة (العرب أفضل الأمم)، فهي حجج متساوقة لكن الحجّة التي تلت رابط التساوق (حتّى) هي الأقوى لأنها زادت في تأكيد الحجج السابقة[102].

الآليات البيانية للحجاج الحواري:

ولم يخلُ خطاب التوحيدي الحجاجي من لغة شعريّة اخترقت أوصاله، وأضاءت جوانبه، وقد تجسّدت تلك اللغة في صور بيانيّة كحُجّة التمثيل، أي إيراد المَثَل، مما هو موروث عن العرب، كما نلحظ في قوله: "ولذلك يُقال: إذا كثرت المؤتفكات زكت الأرض، لأنّ الرياح إذا اختلفت حوّلت تراب أرض إلى أرض، وإذا كان الاغتراب يؤثّر من التراب إلى التراب فبالحريّ أن يؤثّر الإنسان في الإنسان بالاغتراب؛ لأنّ الإنسان أيضاً من التراب"[103].

أظهرت الحُجّة السابقة أهميّة الاغتراب في حياة الإنسان، وتجنّب الضّوى، وقد قاس المحاجج حال اغتراب الإنسان وتأثّره بالإنسان بحال اغتراب التراب بفعل الرياح التي تحوّل تراب أرض إلى أرض، انطلق التوحيدي في المقبوس السابق من مَثَل سائر: (إذا كثرت المؤتفكات زكت الأرض) انعقد عليها إجماع الناس، وهي حُجّة دامغة لا يمكن ردّها، وضّحت المعنى، وحرّكت النفس وتمكّنت من القلب، وانتصبت دليلاً على المعنى وشاهدًا عليه من خلال إيجاد العلاقة المشتركة التي جمعت بين صورة المشبّه والمشبّه به.

واستعان التوحيدي في حجاجه بالفنون البديعيّة كقوله: "ليس على وجه الأرض جيل من الناس ينزلون القفر، وينتجعون السحاب والقطر، ويعالجون الإبل والخيل والغنم وغيرها، ويستبدّون في مصالحهم بكلّ ما عزّ وهان، وبكلّ ما قلّ وكَثُر، وبكلّ ما سَهُلَ وعَسُر، ويرجون الخير من السماء في صوبها، ومن الأرض في نباتها، مع مراعاة الأوان بعد الأوان، وثقة بالحال بعد الحال، وتبصّره فيما يُفعَل ويُجتنَب، ما للعرب فيما قدّمنا وصفه، وكرّرنا شرحه من علمهم بالخِصْب والجَدْب، واللين والقسوة والحرّ والبرد ... وهذا لأنّهم مع توحّشهم مستأنسون، وفي بواديهم حاضرون، فقد اجتمع لهم من عادات الحاضرة أحسن العادات، ومن أخلاق البادية أطهر الأخلاق"[104].

ضمّ النصّ السابق مجموعة من الثنائيّات الضديّة (عزّ/ هان، قلّ/ كثر، سهل/ عسر، السماء/ الأرض، الخصب/ الجدب، الليل/ القسوة، الحرّ/ البرد، توحّشهم/ مستأنسون، بواديهم/ حاضرون).

فقد وظّف التوحيدي هذه الثنائيات التي برزت على شكل طباق[105] لا لأغراض تزيينيّة أو

زخرفيّة تنمّق القول وتجمّله، بل من أجل بلوغ غاية حجاجيّة قادت إلى نتيجة ضمنيّة أكّدت أفضليّة العرب على العجم.

واعتمد التوحيدي على تدعيم طرحه بحجج أوردها على شكل سجع[106] ممّا ازدان به خطابه الحجاجي في مواضع كثيرة، كقوله على لسان القاضي أبي حامد المَرْوَرُوذي الفرس فطرة خاطئة: "وهذا بيان نافع في كذبهم، وإنّما جاؤوا إلى وهي فرقّعوه، وإلى حرام بالعقل فأباحوه، وإلى خبيث بالطبع فارتكبوه وإلى قبيح في العادة فاستحسنوه"[107].

فجاءت حجّته على شكل سجع دون مبالغة أو إسراف، وجاءت تراكيبه عفو الخاطر مع ما فيها من طباق ومقابلة، استطاع من خلالها إيصال المعنى مع تناغم في الجرس، ورونق في الإيقاع، ولّده السجع في (رمقوه، أباحوه، ارتكبوه، استحسنوه)، وزاد من بهاء السجع ما في العبارات من نظام هندسي بديع تآلفت فيه التعابير، إذ بدت الجمل المسجوعة كأنّها جملة واحدة، يسري فيها نغم واحد، لتصل مجتمعة إلى هدف واحد ونتيجة واحدة سعى إليها المحاجج تظهر أفضليّة العرب على الفرس.

وقد يلجأ التوحيدي في حجاجه إلى الازدواج، وهو تكرار البنية ذاتها المشكلة للجمل، بطريقة متوالية[108]، كما في المثال السابق وكحاله عندما علّل سبب تفاوت الأمم في الفضائل قائلاً: "فقد بان هذا الكشف أنّ الأمم كلّها تقاسمت الفضائل والنقائص باضطرار الفطرة، واختيار الفكرة. ولم يكن بعد ذلك إلا ما يتنازعه الناس بينهم بالنسبة الترابيّة والمادة المنشئيّة والهوى الغالب من النفس الغضبيّة، والنزاع الهائج من القوة الشهويّة"[109].

تمثّل الازدواج في قوله: (باضطرار الفطرة، واختيار الفكرة) حيث برز من خلال الاتّفاق التامّ في زنة الوحدات وترتيبها وعددها وتماثل فاصلتها. وتمثّل الثاني في قوله: "ما يتنازعه الناس بنهم بالنسبة الترابيّة، والمادّة المنشئيّة، والهوى الغالب من النفس الغضبيّة، والنزاع الهائج من القوة الشهويّة"، حيث كان التوازن ناقصًا في زنة الوحدات وترتيبها وعددها مع اتّفاقها في الفاصلة.

وقد برز هذا الأسلوب في محاججة التوحيديُّ للجيهاني في سياق دفاعه عن العرب، ومن ذلك قوله: "وقد رأيتَ حين هبّت ريحهم، وأشرقت دولتهم بالدعوة، وانتشرت دعوتهم بالملّة، وعزّت ملّتهم بالنبوّة، وغلبت نبوّتهم بالشريعة، ورسُخت شريعتهم بالخلافة، ونضُرت خلافتهم بالسياسة الدينيّة والدنيويّة، كيف تحوّلت جميع محاسن الأمم إليهم، وكيف وقعت فضائل الأجيال عليهم، من غير أن طلبوها وكدحوا في حيازتها أو تعبوا في نيلها، بل جاءتهم هذه المناقب والمفاخر، وهذه النوادر من المآثر عفوًا، وقطنت بين أطناب بيوتهم سهوًا رهوًا ..."[110].

بدأ التوحيدي خطابه معتمداً أسلوب الازدواج معادِلاً بين كلّ عبارة وتاليها معادَلة صوتيّة

دقيقة، تظهر من خلال تساوي البنية التركيبية المكونة للجمل (غلبت نبوتهم/ رسخت شريعتهم/ نضرت خلافتهم)، مستغِلاً قدرته الفكريّة في تفريع الجمل بعضها من بعض، إذ بدأ بالدولة وانتهى بالسياسة الدينيّة والدنيويّة جاعلاً من كلّ نتيجة ممّا سبق حُجّة لنتيجة جديدة فيشعر المتلقّي في هذا النوع من الحجاج أنّ المحاجج يتعامل معه بعقلانيّة، وبمقدّمات معيّنة تليها نتائج طبيعيّة ومنطقيّة يقبلها العقل فيرضى بها ولا يشكّك بصحّتها. فالتكرار بهذا المعنى ليس عيبًا بل هو أسلوب حجاجي يقوم على تطوّر الطاقة الدلاليّة التأويليّة للوصول إلى النتيجة النهائيّة، فالمحاجج لا يستعيد ما كان قد ذكره تماماً إنّما يضيف إليه، فينطلق من أمر ويبني عليه، فما كان مقدّمة يصبح حُجّة وما كان حُجّة يصبح مقدّمة لحُجّة أخرى، ورأى الباحثون في هذا النوع من التكرار طريقة حجاجيّة عدّوها من أدوات التعليل، وأطلقوا عليها (الوصل السببي)[111] كما أطلقوا عليها التوليد، حيث يدع المحاجج العبارة تتسلسل تسلسلاً منظّمًا مولِّدًا ما يلي ممّا سبق[112]. ويبدو التوحيدي من خلال اعتماده هذه الازدواجات وما فيها من تكرار وتفريع وتوليد للمعاني، ثمّ يأتي بالازدواج القائم على السجع ليحقّق في ذلك جماليّة موسيقيّة عالية أضفت على الكلام حسنًا ورونقًا، وعلى المعنى قوّةً وتأثيرًا.

النتائج:

- كشفت النصوص التي عرضها التوحيدي وما حوته من لغات متعدّدة عن صراع قائم بين فريقين (العرب والفرس) وهو ما تمثّل بالشعوبيّة التي اعتقد كثير من الباحثين أنّها قد انتهت في القرن الثالث الهجري بفضل الجاحظ ت (255) هـ وابن قتيبة ت (276) هـ، لكنّ الوقوف عند هذه الليلة جعلنا نسمع أصداء هذه الحركة ما تزال تتردّد في القرن الرابع الهجري، لهذا خصّ التوحيدي هذا الصراع بليلة مقدّمة من لياليه (الليلة السادسة)، ويكمن الحجاج في طبيعة الموضوع الحجاجي، وهو التفاضل بين العرب والفرس.

- ظهر البناء الحجاجي في النص المدروس في شكلين:

الأوّل: بدا فيها التوحيدي راويًا وناقلاً، فقد استنطق التراث ونقل ما سمع بأسلوبه وطريقته.

الثاني: بدا فيه التوحيدي محاورًا ومحاجِجًا يدفع أقوال الخصم من خلال الأدوات والأساليب الحجاجيّة المختلفة. لتنتهي المحاورة بتأكيد أفضليّة العرب على الفرس.

تكمن براعة المحاجج عند اعتماده أسلوب الاستدراج من خلال وضع خطّة منظّمة تقود تدريجيًا إلى الهدف المنشود، وأكثر ما تكون هذه الطريقة من خلال أسئلة يرتّبها المحاجج وفق خطّة منظّمة مقصودة تكون وسيلته للوصول إلى الفكرة أو الحقيقة المراد إثباتها. ففي الليلة السادسة التي دارت حول المفاضلة بين العرب والعجم ظهرت براعة التوحيديّ الحِجاجيّة من خلال وضع الأسئلة وصياغتها، فبدأ باستدعاء سؤال الوزير له: "أتفضّل العرب على العجم أم العجم

على العرب"، ثم أتبعه بالأسئلة الفرعية التي سبني عليها محاججته وأجوبته للخصم.

- اعتمد التوحيديّ أسلوب الحِجاج بالشرح والسرد للإجابة عن سؤال الوزير، إذ رأيناه يقدّم ما عنده بناء على طلب الوزير الذي قال: "هات الآن ما عندك من مسموع ومستنبط؟"، فتحضر تقنية الشرح والسرد في تقديم الإجابة من خلال ذكر فضائل العرب وشمائلهم وتفوّقهم على سواهم من الأمم الأخرى، لا سيَّما الفرس.
- استعان التوحيدي أثناء عرض دعواه (خطابه الحِجاجيّ) بجملة من الحجج المترافقة فيسعى إلى ترتيبها بحسب قوّتها، إذ لا يثبت غالباً إلاّ الحجّة التي تفرض ذاتها على أنّها أقوى الحجج في السياق، ولذلك يقوم باختيار الحجج التي يرى أنّها تتمتّع بالقوّة اللازمة لدعم دعواه، تضافرت في تعزيز قوتها جملة من العناصر اللغوية والبلاغية والشواهد الشعرية والنثرية التي تخدم المقولة النهائية للنص وهي تفضيل العرب على الفرس.
- برع التوحيدي في توظيف الروابط الحجاجية اللغوية، والاستفادة من إمكانياتها الدلالية في حصر الحجج وتقيدها ومعارضتها، مما أسهم في تعزيز مقولة النص الرئيسة وهي الانتصار للعرب على الفرس بعرض حجج منطقية.

Argumentative of Dialogue of Abu Hayyan Al-Tawhidi (The Sixth Night of the Book of Enjoyment and Sociability as an Applied Model)

Rijan Abdoh Obeidat, *Constructor at Languages Centre, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

Argumentative studies are among the most important studies that investigate the relationship of discourse with the recipient in terms of influence and persuasion. There was a need to research the argumentative discourse mechanisms in order to know the intent of the discourse as a message that includes persuasive and influential dimensions. The argumentative view of the discourse goes beyond the aesthetic goal to the affective element through the communicative goal of the discourse, and also devotes rhetorical and artistic aesthetics to the formulation of influence and persuasion and highlighting it in the discourse. Argumentation is one of the most important means for the speaker to convey his perceptions to the recipient, relying on a number of mechanisms that contribute to achieving his goals.

The purpose of this study is to investigate the mechanisms of argumentation of Al-Tawhidi in his book enjoyment and sociability, through an applied study for one sample, which is the sixth night; that dealt comparison between Arabs and Persians, relying on contemporary linguistic perceptions of the concept of pilgrims and its various mechanisms, the research is based on an applied textual study that attempts to reveal the reservoirs of ingenuity in arguing with the Persian other in a language based on argument and proof in presenting the monotheistic point of view defending the Arabs.

The study discussed the mechanisms of Al-Tawhidi in justifying his argumentation in the studied sample; And the methods that he followed in forming an argumentative image are based on evidence and proof. The study adopted the analytical descriptive approach as a systematic path of applied research on the sixth night of enjoyment and sociability by examining the argumentative mechanisms adopted by Al-Tawhidi in defending the Arabs. These mechanisms have emerged in several methods of question and answer, and discussion of the issues, adopting the method of luring in order to reach the results. In addition to the method of measurement and presentation of evidence, the importance of argumentative mechanisms appeared in diversifying the method of presenting issues for discussion with multiple mechanisms that contributed to providing a communicative environment for discourse so that it was not confined to one side, but was interactive, which gave the results reached by al-Tawhidi a greater influential and persuasive value.

An effective argumentative value also emerged for the linguistic mechanisms on which the discourse was based in the studied sample, in addition to investing the Japanese and artistic mechanisms in formulating the influential discourse in the formation of the argumentative discourse. The applied study of the pilgrims in the enjoyment and sociability of the sixth night is a model that gives an integrated picture of the contribution made by the pilgrims studies in studying the mechanisms of influence and persuasion in the traditional discourse in Arabic literature.

The study concluded several findings, such as; the appearance of the argumentative structure in the text studied in two forms: the first: in which Al-Tawhidi appeared as a narrator and transmitter, as he questioned the heritage and conveyed what he heard in his style and method. The second: Al-Tawhidi appeared in it as an interlocutor and an argument that pushes the opponent's statements through various argumentative tools and methods.

Keywords: Argumentation, Dialogue, Al-Tawhidi, Sixth night, Enjoyment and sociability.

الهوامش

(1) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1994م: مادة حَجَجَ.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991م: مج 2 ص 20.

(3) ينظر: علوي، حافظ إسماعيل، الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، إربد، 2010م: 4.

(4) ينظر: أعراب، حبيب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري، مجلة عالم الفكر الكويتية، العدد الأول، المجلد (30)، 2001: 99- 100.

(5) عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، عبد الرحمن طه، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000: 38.

(6) ابن منظور، لسان العرب، مادة حَوَرَ.

(7) في أصول الحوار، إعداد: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، دار الندوة العالمية، الرياض، 1998: 11.

(8) عبد النور، جبور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1984: 100.

(9) مجموعة مؤلفين، الحِجاج، مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إشراف: حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحدبث، الأردن، ط1، 2001م: ج2، ص288.

(10) شيخ، آمال، البنية الحجاجية في كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي، إعداد: شيخ آمال، جامعة المسيلة، الجزائر، 2011: 46.

(11) هو أبو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام المنطقي السجستاني، عالم كبير وفيلسوف جليل، كان عظيم القدر عند عضد الدولة ووزرائه، مات بحدود 380 ه، ينظر: كتاب المقابسات، لأبي حيان التوحيدي، تحقيق: حسن السندوبي، دار سعاد الصباح، الكويت، ط2، 1992م: 10 الحاشية رقم (1).

(12) هو الوزير أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان، وزير صمصام الدولة البويهي، استوزره سنة 373، توفي سنة 385ه، ينظر: كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي صححه وضبطه: أحمد أمين وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة، القاهرة، د.ت: الصفحة: و.

(13) ينظر: مقدمة كتاب الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيات التوحيدي، اعتنى به وراجعه: هيثم خليفة الطعيمي، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، 2011: ج1/ 6 وما بعدها. وينظر مقدمة كتاب المقابسات، لأبي حيان التوحيدي، تحقيق: محمد توفيق حسين، دار الآداب، بيروت، ط2، 1989. ينظر: أبو حيّان التوحيديّ ومؤلفاته، المخطوطة والمطبوعة، أيمن فؤاد سيد: مجلة فصول، عدد:1، يوليو، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995م:11-12.

(14) ينظر: شيخ، آمال، البنية الحجاجية في كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي: 17.

(15) ينظر:الدقاق، عمر، أعلام النثر في العصر العباسي، دار القلم العربي، دمشق، ط1، 2004م: 251، وينظر المرجع السابق: 17.

(16) علي، محمد كرد، أمراء البيان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1948م: 149.

(17) اعتمد التوحيدي هذا الأسلوب في الكتاب كله، ينظر على سبيل المثال الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي (تحقيق أمين والزين): 1/ 20-21.

(18) المصدر السابق: الصفحتان: م – ن (مقدمة التحقيق مرقمة بالأحرف).

(19) المصدر السابق: س.

(20) التوحيدي، أبو حيان، البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط1، (د.ت): 1/ 36. ضغث: أي قطعة أو طائفة.

(21) إبراهيم، زكريا، أبو حيّان التوحيديّ، أديب الفلاسفة، وفيلسوف الأدباء، المؤسسة المصريّة العامة، القاهرة، (د.ت): 182-183.

(22) التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة (تحقيق الطعيمي): 392/3.

(23) ينظر السابق، الحديث في الليلة الواحدة والثلاثين: 3/ 290 وما بعدها.

(24) ومثالها الليلة السادسة، ينظر السابق: 70/1 وما بعدها.

(25) كالمفاضلة بين البلاغة والحساب في الليلة السابعة، ينظر السابق: 83/1، والمفاضلة بين المنطق والنحو في الليلة الثامنة، ينظر السابق: 88/1 وما بعدها. وعلاقة الشريعة بالفلسفة في الليلة السابعة عشرة، ينظر السابق: 2/ 162 وما بعدها. والمفاضلة بين الشعر والنثر في الليلة الخامسة والعشرين، ينظر السابق: 2/ 249 وما بعدها.

(26) سنعتمد في دراستنا التطبيقية على الإمتاع والمؤانسة، بمراجعة: هيثم خليفة الطعيمي، والعينة المدرسة في الجزء الأول، ص 70 وما بعدها.

(27) التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة: 1/ 70.

(28) المصدر السابق: 1/ 70.

(29) المصدر السابق: 1/ 70.

(30) ينظر: الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، الجرجاني، تح: السيد محمد رشيد رضا، دار المنار، مصر. ص258. والقصر ضرب من ضروب الإيجاز، وهو أسلوب من الأساليب التي تفيد التوكيد، ويعني تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص، والشيئيّة هنا طرفا القصر (المقصور والمقصور عليه) والمراد بتخصيص الشيء بالشيء إثبات أحدهما للآخر، ونفيه عن غيره. ويوجَه أسلوب القصر إلى ثلاثة أصناف من المخاطَبين: مخاطب يعتقد رأيه مخالفاً، والمخاطب الشاك في الرأي، ومخاطب يعتقد الشراكة بين اثنين أو أكثر في الحكم، ينظر: عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، دار الفرقان، إربد، الأردن، ط4، 1997، ص364.

(31) التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة: 70/1.

(32) المصدر السابق: 70/1.

(33) المصدر السابق: 1/ 70.

(34) المصدر السابق: 1/ 70.

(35) المصدر السابق: 1/ 70.

(36) المصدر السابق: 1/ 71.

(37) ابن المقفع هو أبو محمد عبد الله بن المقفع من أصول فارسية نقل إلى العربية كتاب: كليلة ودمنة توفي سنة 142ه، ينظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4، 2001م، 6/ 209.

(38) صولة، عبد الله الحجاج أطره ومنطلقاته، ضمن كتاب: أهمّ نظريّات الحجاج في التقاليد الغربية، إشراف: حمادي صمود، كلية الآداب، منوبة، تونس، (د.ت): 314.

(39) التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة: 71/1.

(40) المصدر السابق: 71/1.

(41) المصدر السابق: 71/1.

(42) المصدر السابق:72/1.

(43) التفريع أي تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له، وهو أسلوب حجاجي يقوم المحاجج فيه بذكر حجّته كليّاً في أوّل الأمر، ثمّ يقسّم الكلّ إلى أجزائه المكوّنة له، فيحافظ بذلك على قوّة حجّته، وتقوية موقفه، ويكون كلّ جزء من أجزائها بمثابة دليل على دعواه. ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، المتحدة، ط1، بيروت، 2004، ص494.

(44) يعرف الجرجاني هذا الأسلوب بقوله: "هو بابٌ كثيرُ الفوائدِ، جَمُّ المحاسن، واسعُ التصرُّفِ، بعيد الغاية، لا يزال يَفْتَرُّ لك عن بديعة، ويُفْضِي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يَرُوقُكَ مَسْمَعُه، ويَلْطَفُ لَدَيْكُ موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أنْ راقَك ولَطُفَ عِنْدَكَ أنْ قُدِّمَ فيه شيءٌ وحُوِّلَ اللفظُ عن مكان إلى مكان". دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ودار المدني بجدة، ط3، 1992م: 107.

(45) التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة: 1/ 72.

(46) المصدر السابق: 1/ 72.

(47) أبو مسلم الخراساني قائد عسكري شغل دورًا خطيرًا في سياسة الدولة الداخليّة والخارجيّة في العصر العباسي زمن الخليفة المنصور. ينظر: زكار، سهيل، في التاريخ العباسي والأندلسي، ط4، دمشق، مطبعة دار الكتاب، 1992م، ص 37-38.

(48) التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة: 72/1.

(49) هو القاضي أبو حامد بن يشر البصري المروروذي، كان عالماً بفنون العلوم الدينية والأدبية، قال عنه أبو حيان: "إنه أنبل من رأيته في عمري" توفي سنة 362ه، ينظر الإمتاع والمؤانسة (تحقيق أمين والزين): 1/ 90 الحاشية رقم: 6.

(50) هو علي بن أحمد أصله من أنطاكية، ونزل ببغداد، وكان مهندساً وصاحب فصاحةمات ببغداد سنة 376ه، ينظر الإمتاع والمؤانسة (تحقيق أمين والزين):1/ 93 الحاشية رقم: 2.

(51) أسلوب القياس آلية من آليات الذهن البشري، تقوم بالربط بين شيئين على أساس جملة من الخصائص المشتركة بينهما للوصول إلى استنتاج ما، بو بلوطة، حسين، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2010م: 98.

(52) ينظر: البنية الحجاجية في كتاب المقابسات، شيخ آمال: 170.

(53) رجل دين فارسي يعد مؤسس الديانة الزردشتية ظلت تعاليمه وديانته هي المنتشرة في مناطق واسعة من وسط آسيا إلى موطنه الأصلي إيران، عاش في القرن الأول قبل الميلاد. ينظر: ويكيبيديا على الإنترنت.

(54) التوحيدي، أبو حيان،الإمتاع والمؤانسة: 1/ 80.

(55) المصدر السابق: 1/ 81 والمعنى تزوجوا في بعاد الأنساب لا في الأقارب، لا تضوى أولادكم أي لا تضعف.

(56) المصدر السابق:1/ 82 والبيت في ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1996م: 34. يضوى: يضعف. رديد الأقارب: الولد المنسوب إلى أهله المقربين.

(57) - المصدر السابق:82/1.

(58) الطلبة، محمد سالم، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوّره في البلاغة المعاصرة، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، إشراف د. حافظ إسماعيلي علوي، ج1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2010: 498.

(59) التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة: 1/ 75.

(60) المصدر السابق: 81/1.

(61) الجيهاني: نسبة إلى جَيْهان مدينة بخراسان. وقد شهر بهذه النسبة اثنان: أحدهما أبو عبد الله أحمد بن نصر وزير السامانية ببخارى، وكان أديبًا فاضلاً، وجيهاني آخر اسمه محمد بن أحمد كان

كذلك وزيرًا للسامانيين، وهو من رؤساء المتكلمين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الزندقة، والظاهر أن الأخير هو المراد هنا. ينظر: الإمتاع والمؤانسة (تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين): 1/ 78 الحاشية رقم (11).

(62) التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة: 1/ 74.

(63) العزاوي، أبو بكر،الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2010م: 57.

(64) التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة: 1/ 74.

(65) المصدر السابق: 1/ 74. وَبار: أرض واسعة ببلاد اليمن، طيبة: اسم مكان في اليمن، يبرين: اسم مكان، هبير: رمل بطريق مكة، البرجد: كساء غليظ من صوف أحمر، الخميصة: كساء أسود، السمل من الثياب: الخَلِق البالي.

(66) المصدر السابق: 74/1.

(67) دومة الجندل: حصن وقرى بين الشام والمدينة، وكانت منازل لكنانة من قبيلة كلب. ينظر: الإمتاع والمؤانسة (تحقيق أمين والزين): 1/ 83 الحاشية رقم: 6.

(68) أكيدر: هو صاحب دومة الجندل والمؤانسة (تحقيق أمين والزين): 84/1.

(69) هجر: قاعدة البحرين وهي حالياً مدينة في المملكة العربية السعودية (المصدر السابق).

(70) عُمان:كورة عربية على ساحل البحر وهي في شرقي هجر (المصدر السابق).

(71) دبا: سوق قديمة من أسواق العرب بعُمان (المصدر السابق).

(72) صحار: بلدة بعمان (المصدر السابق).

(73) إرَم: فلاة قرب عدن (المصدر السابق).

(74) الشِّجر: مكان على ساحل بحر الهند بين عدن وعُمان (المصدر السابق).

(75) التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة: 76/1.

(76) أرنق: أي أكدر من رنق الماء، وضاح: أي متعرّض للشمس. الإمتاع والمؤانسة (تحقيق أمين والزين): 1/ 87.

(77) التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة: 1/ 78.

(78) الحواري: لباب الدقيق وخالصه الإمتاع والمؤانسة (تحقيق أمين والزين): 1/ 87.

(79) الأطمار: نوع من الثياب.

(80) التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة: 1/ 78.

(81) بَتّ: كساء غليظ من صوف أو وبر.

(82) التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة: 1/ 76.

(83) السلم الحجاجي ((عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة تراتبيّة ومُوفيّة بالشرطين التاليين:

أ- كلّ قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عندما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

ب- كلّ قول كان في السلم دليلاً على مدلول معين كان ما يعلوه مرتبة دليلاً أقوى منه)). عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت،ط1، 1998: 277.

(84) التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة: 1/ 74.

(85) ينظر الليلة الثامنة مثلاً، الإمتاع والمؤانسة.

(86) ينظر الليلة الخامسة والعشرون، الإمتاع والمؤانسة.

(87) التوحيدي، أبو حيان، المقابسات، تحقيق: حسن السندوبي، دار سعاد الصباح، الكويت، ط2، 1992م: 169.

(88) الدريدي، سامية، الحجاج في الشعر العربي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2011م: 102.

(89) التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة: 77/1.

(90) المصدر السابق:1/ 74.

(91) المصدر السابق: 365/3.

(92) المصدر السابق:1/ 73.

(93) ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية: 372-373، وينظر: صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت، ط2، 2007م: 28.

(94) التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة: 1/ 76.

(95) ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، 1964م: 1/ 383.

(96) الرماني، أبو الحسين علي بن عيسى، معاني الحروف، تحقيق: عرفان بن سليم العشا حسّونة، المكتبة العصريّة، بيروت، صيدا، ط1، 2005م، ص192.

(97) التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة: 1/ 71.

(98) بو بلوطة، حسين، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي: 120.

(99) التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة: 1/ 78.

(100) العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج: 73.

(101) التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة: 1/ 71.

(102) ينظر: بو بلوطة، حسين، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي: 125.

(103) التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة: 82/1.

(104) المصدر السابق: 75/1.

(105) الطباق هو الجمع بين متضادين متقابلين في الجملة. ينظر: طبانة، بدوي، معجم البلاغة العربية، دار المنارة، جدة، دار الرفاعي، الرياض، ط3، 1988م: 363.

(106) السجع: اتفاق الفواصل في الكلام المنثور في الحرف أو في الوزن أو في مجموعهما. طبانة، بدوي، معجم البلاغة العربية: 273.

(107) التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة:81/1.

(108) ينظر: طبانة، بدوي، معجم البلاغة العربية: 266.

(109) التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة: 72/1.

(110) المصدر السابق: 75/1.

(111) الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية: 480.

(112) عباس، إحسان، أبو حيان التوحيدي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1956: 153.

المصادر والمراجع

إبراهيم، زكريا: **أبو حيّان التوحيديّ، أديب الفلاسفة، وفيلسوف الأدباء**، المؤسسة المصريّة العامة، القاهرة، (د.ت).

أعراب، حبيب: الحجاج والاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري، **مجلة عالم الفكر الكويتية**، العدد الأول، المجلد (30)، 2001م.

بو بلوطة، حسين: **الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي**، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2010م.

التوحيدي، أبو حيان: **الإمتاع والمؤانسة**، اعتنى به وراجعه: هيثم خليفة الطعيمي، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، 2011م (واستفدنا من مقدمة أحمد أمين لكتاب الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيان التوحيدي، صححه وضبطه وصحح غريبه، أحمد أمين وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة، القاهرة، د.ت).

التوحيدي، أبو حيان: **البصائر والذخائر**، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط1، (د.ت).

التوحيدي أبو حيان: **المقابسات**، تحقيق: محمد توفيق حسين، دار الآداب، بيروت، ط2، 1989م (واستفدنا من تحقيق: حسن السندوبي، للكتاب نفسه، دار سعاد الصباح، الكويت، ط2، 1992م).

الجرجاني، عبد القاهر: **دلائل الإعجاز**، الجرجاني، تح: السيد محمد رشيد رضا،دار المنار، مصر.(وطبعة: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ودار المدني بجدة، ط3، 1992م).

الدريدي، ساميّة: **الحجاج في الشعر العربي**، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2011م.

الدقاق، عمر: **أعلام النثر في العصر العباسي**، دار القلم العربي، دمشق، ط1، 2004م.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: **سير أعلام النبلاء**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4، 2001م.

الرماني، أبو الحسين علي بن عيسى: **معاني الحروف**، تحقيق: عرفان بن سليم العشا حسّونة، المكتبة العصريّة، بيروت، صيدا، ط1، 2005م.

زكار، سهيل: **في التاريخ العباسي والأندلسي**، مطبعة دار الكتاب، دمشق، ط4، 1992م.

سيد، أيمن فؤاد: أبو حيّان التوحيديّ ومؤلفاته، المخطوطة والمطبوعة، **مجلة فصول**، مجلد: 14 عدد:3، يوليو، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995م.

الشهري، عبد الهادي بن ظافر: **إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية**، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط1، 2004م.

شيخ، آمال: **البنية الحجاجية في كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي**، إعداد: شيخ آمال، جامعة المسيلة، الجزائر، 2011م.

صولة، عبد الله: الحجاج أطره ومنطلقاته، ضمن كتاب: **أهمّ نظريّات الحجاج في التقاليد الغربية**، إشراف: حمادي صمود، كلية الآداب، منوبة، تونس، (د.ت).

صولة، عبد الله: **الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية**، عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت، ط2، 2007م.

طبانة، بدوي: **معجم البلاغة العربية**، بدوي طبانة، دار المنارة، جدة، دار الرفاعي، الرياض، ط3، 1988م.

الطلبة، محمد سالم محمد الأمين: **مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوّره في البلاغة المعاصرة**، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، إشراف د. حافظ إسماعيلي علوي، ج1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2010م.

عباس، إحسان: **أبو حيان التوحيدي**، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1956م.

عباس، فضل حسن: **البلاغة فنونها وأفنانها**، علم المعاني، دار الفرقان، إربد، الأردن، ط4، 1997م.

عبد الرحمن، طه: **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت،ط1، 1998م.

عبد الرحمن، طه: **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000م.

عبد النور، جبور: **المعجم الأدبي**، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1984م.

العزاوي، أبو بكر: **الخطاب والحجاج**، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2010م.

علوي، حافظ إسماعيل: **الحجاج مفهومه ومجالاته**، عالم الكتب الحديث، إربد، 2010م.

علي، محمد كرد: **أمراء البيان**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1948م.

ابن فارس: **مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991م.

مجموعة مؤلفين: **الحِجاج، مفهومه ومجالاته**، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إشراف: حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2001م.

مجموعة مؤلفين: **في أصول الحوار**، إعداد: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، دار الندوة العالمية، الرياض، 1998م.

ابن منظور: **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط3، 1994م.

ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، 1964م.

List of References:

Abbas, Ihsan: *Abu Hayyan Al-Tawhidi*, Dar Beirut, Beirut, 1956 AD.

Abbas, Fadl Hassan, *funonha wa afnanuha, E'lm alma'any*, Dar Al-Furqan, Irbid, Jordan, 4th edition, 1997 AD.

Abdel Nour, Jabbour: *almujam aladaby*, Dar Al-Iem llmalaeen, Beirut, 2nd edition, 1984 AD.

Abdul Rahman, Taha: *allesan wa almyzan ao altakauothor alaqly*, al markez althaqafy ala'raby, aldar albydha'a, Beirut, 1st edition, 1998 AD.

Abdul Rahman, Taha: *fi osool alhewar wa tajdeed elm alkalam*, al markez althaqafy ala'raby , aldar albydha'a Casablanca, 2nd edition, 2000 AD.

Alawi, Hafez Ismail: Al-Hejjaj, *mafhumoh wa mjalatuh*, a'lam alkoto alhadeeth, Irbid, 2010.

Al-Azzawi, Abu Bakr: *Al-Khettab wa Al-Hejjaj,muassat* Al-Rehab, Beirut, 1st edition, 2010 AD.

Al-Daqqaq, Omar: *aalam alnather fi alaser alaabbasy*, Dar Al-Qalam Al-Arabi, Demashq, 1st edition, 2004 AD.

Al-Dhahabi, *Shams al-Din Muhammad bin Ahmad bin Othman: syar aalam alnubalaa*, muassat Al-Risalah, Beirut, 4th edition, 2001 AD.

Al-Duraidi, Samia: *Al-Hejjaj fi alshier alaraby*, a'lam alkoto alhadeeth, Irbid, Jordan, 2nd edition, 2011 AD.

Ali, Muhammad Kurd: *umaraa albayan* , matbaat lajnat alta'leef wa altarjamah wa alnasher, Cairo, 1948 AD.

Al-Jurjani, Abdel-Qaher: *dla'el aleejaz*, tahqeeq: Al-Sayyid Muhammad Rashid Reda, Dar Al-Manar, mesr.

Al-Rumani, Abu Al-Hussein Ali bin Issa: *maany alhorouf* , tahqeeq: Irfan bin Salim Al-Asha Hassouna, Al-Asriyya, Beirut, Sida, 1st edition, 2005 AD.

Al-Shehri, Abd al-Hadi bin Dhafer: *isterateejyat alkhtab*, muqarabah lugaweah tadawlyah, dar alktab aljadidah almutahedah, Beirut, 1st Edition, 2004 AD.

Al-Tawhidi Abu Hayyan, Al-Muqabasat: tahqeeq: *Muhammad Tawfiq Hussein*, Dar Al-Adab, Beirut, 2nd edition, 1989 AD (we benefited from the investigation: Hassan Al-Sandoubi, Dar Suad Al-Sabah, Kuwait, 2nd edition, 1992 AD).

Al-Tawhidi, Abu Hayyan: *albasaer wa althakher*, tahqeeq: Widad Al-Qadi, Dar Sader, Beirut, 1st edition, (D.T).

Al-Tawhidi, Abu Hayyan, *alemtaa wa almouanaseh*: rajaauh: Haitham Khalifa Al-Taimi, Al-Makataba Al-Asriyya, Beirut, Sida, 2011 AD.

Altulbah, Muhammad Salem Muhammad Al-Amin: *mafhoum alhijaj ind Perelman wa tataeurh fi albalagh alaranyah, dhmn ketab Al-Hejjaj mafhumoh wa mjalatuh*, ishraf:Dr. Hafez Ismaili Alawi, Part 1, a'lam alkoto alhadeeth, Irbid, Jordan, 2010.

Arab, Habib: Al-Hejjaj wa alestedldl alhijaji,anaser istqsaa nathary, *majallah alam alfekr alkowaytyah*, Issue 1, Volume (30), 2001 AD.

Bou Ballouta, Hussein: *Al-Hejjaj fi alemtaa wa almouanaseh l Abi Hayyan Al-Tawhidi*, Master Thesis, jameah Al-Hajj Lakhdar, Batna, Aljazaer, 2010 AD.

Ibn Fares: *maqayes allugah*, tahqeeq: Abd al-Salam Haroun, Dar al-Jil, Beirut, 1st edition, 1991 AD.

Ibn Hisham: *Mughni al-Labib an kotub alaareeb*, tahqeeq: Mazen Al-Mubarak, Muhammad Ali Hamdallah, Dar AlFikr, Demashq, 1964 AD.

Ibn Manzoor: *Lisan Al-Arab*, Dar Sader, Beirut, 3rd edition, 1994 AD.

Ibrahim, Zakaria: Abu *Hayyan al-Tawhidi, adeeb alfalasefah wa fylasoof alodabaa*, almuassah almesryah alaammah, alqahera (D.T).

Majmouat mu'allfeen, Al-Hejjaj, *mafhumoh wa mjalatuh*, drasat natharyeah ra tatbyeah fi albalagah aljadeedah, ishraf: Hafez Ismail Alawi, a'lam alkoto alhadeeth, alordun, 1st edition, 2001 AD.

Majmouat mu'allfeen: *fi ousool alhewar*, iedad: Alnadwah alaalamiyah llshabab aleslamy, Dar Alnadwah Alaalamiyah, Riyadh, 1998 AD.

Sayed, Ayman Fouad: Abu Hayyan al-Tawhidi wa muollafatuh almakhtotah wa almatbouaah, *majalgat Fosoul*, Volume: 14, Issue: 3, July, alhayaah almsryah alaamah llktab, alqahera, 1995 AD.

Sheikh, Amal: *albnyah alhijajiah fi ketab Al-Muqabasat l abi Hayyan Al-Tawhidi*, iedad: Sheikh Amal, jameaat almasylah, Aljaza'er, 2011 AD.

Sola, Abdullah: *Al-Hajjaj fi al Qur'an alkaeem mn khilal aham khasaesh alusloobyah*, Dar Al-Farabi, Beirut, 2nd Edition, 2007 AD.

Soula, Abdullah: *Al-Hejjaj utoroh wa muntalqatoh*, dhemn ketab aham nadharyeat alhejaj fi altaqaleed akgarbyeh: ishraf: Hammadi Samoud, Faculty of Arts, Manouba, Tunisia, (D.T).

Tabana, Badawi: *muajam albalagh alarabyah*, Dar Al-Manara, Jeddah, Dar Al-Rifai, Riyadh, 3rd edition, 1988 AD.

Zakkar, Suhail: *fi altareekh ala'abbasy wa alandalusy*, Dar Al-Kitab, Damascus, 4th Edition, 1992 AD.